

الزمن والجهة عند سيبويه

د. عبد الغني شوقي الأدبي

جامعة الملك خالد السعودية

الملخص: هذا البحث بعنوان (الزمن والجهة) عند سيبويه يكشف لنا مدى إدراك سيبويه لقضية الزمن في اللغة العربية، وهو يتناول مصطلحات الزمن عنده، وكذلك أنواع الزمن الأساسي (الصرفي) والسياقي أو النحوي، كما يبين مدى إدراك سيبويه للبنية الداخلية الزمنية للفعل أو الجهة (Aspect) في سياق النفي والإثبات والاستفهام، وكذلك دور الأدوات الداخلة على الفعل والنواسخ في تحديد الزمن في الجملة، إضافة إلى تبادل الصيغ في دلالتها على الزمن من خلال السياق.

الكلمات المفتاحية: الزمن - الجهة - السياق

Abstract:

This research titled (tense and aspect) when Sibawayh 's reveals perceptions to the issue of tense in the Arabic language , which deals with tense he has terms , as well as the types of basic morphological tense and contextual or grammar , and shows how to recognize Sibawayh internal structure oftense of the act or the aspect in the context of negation and the proof and the question , as well as the role falling articles to act and Alnwasikh in determiningtense in the sentence , in addition to sharing formulas in the significance of the tense throughcontext.

Keywords: tense- aspect-context

مقدمة.

لقد شغلت قضية الزمن علماء اللغة منذ بدأ التفكير اللغوي ومن ثم التأليف في القواعد اللغوية، ومازال الجدل فيها إلى اليوم.

إن لكل لغة طريققتها في التعبير عن الزمن كما لها خصوصية في جوانب من بعض الأنظمة اللغوية، وللغة العربية طريققتها في التعبير عن الزمن التي قد تشارك بعض اللغات فيها.

و للزمن اللغوي مسارات تتحكم فيه من داخل الأنظمة اللغوية في أي لغة أو من خارجها كما يعرف ذلك بالسياق.

إن الادعاءات التي ترى أن في اللغة العربية نقصا في التعبير عن الزمن قد جانبت الصواب، وما ينشر على ألسنة اللغويين المحدثين أو المعاصرين من أن الدراسات اللغوية القديمة قد أغفلت البحث الزمني أو أن فيها نقصا في استقصاء جوانب الزمن اللغوي فليس ذلك كما هو في اللغات الأخرى كالإنجليزية مثلا فإن ذلك يعد ادعاء يحتاج إلى دليل.

لقد أخذ هؤلاء المعاصرون على سيبويه ومن بعده أن التقسيم الثلاثي للزمن قام على أساس فلسفي حيث يقوم على أساس حركات الفلك، وهو موضوع جدلي دار فيه خلاف كبير بين مؤيد ومنكر، وقد رأوا أنه لا يمت إلى واقع اللغة بصلة.¹

ولقد ذهب البعض إلى أن النحاة لم يحسنوا النظر في تقسيمات الزمن في السياق العربي إذ كان عليهم أن يدركوا طبيعة الفرق بين مقررات النظام ومطالب السياق ثم أن ينسبوا الزمن الصرفي إلى النظام الصرفي وينسبوا الزمن النحوي إلى مطالب السياق.² إن ما ذكره هؤلاء يقوم على النظرة الجزئية لقضية الزمن في التراث اللغوي العربي، فالملاحظات التي ذكرها المحدثون على القدامى في تقسيم الزمن تقوم على نظرة قاصرة، فهي لم تقم على تتبع كل مفردات قضية الزمن في كتب التراث النحوي وكتب التفسير وعلوم القرآن التي عرضت كثيرا من قضايا الزمن النحوي التي يدعي البعض أن السابقين قد أغفلوها.

لقد حفلت كتب التراث بقضية الزمن اللغوي سواء الصرفي أو النحوي ويعود القصور إما إلى أن الباحثين المعاصرين لم يتقنوا كتب التراث ولم يكلفوا أنفسهم عنا البحث عن القضية، أو أن دعوى القول بقصور اللغة العربية عن التعبير عن الزمن أثرت على نفسية كثير من الباحثين ووجدت عندهم رواجاً.

¹ ناصح، كريم حسين، وشيما رشيد محمد (2012)، الخلاف في الزمن، مجلة كلية التربية الأساسية - جامعة بابل، العدد (75) (21).

² حسان، تمام، (2004)، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب - القاهرة، ط4، (243).

لقد أشاد بعض المستشرقين بقدرة اللغة العربية على التعبير على الزمن واستيعابه فقد رأى براجشتراسر أنها أكمل اللغات السامية وأتمها في باب معاني الفعل الوقتية وغيرها.¹ وذكر أن مما يميزها تخصيص معاني أبنية للفعل وتنويعها بواسطة الأدوات أو اختلاف الصيغ أو استخدام كان وتصريفاتها.²

وفي هذا البحث سيسلط الباحث الضوء على قضية الزمن والجهة عند سيبويه قاصداً من ذلك ربط القضايا المعاصرة بالتراث اللغوي العربي ويهدف البحث إلى معرفة ما يأتي:

- مصطلحات الزمن عند سيبويه وأقسام الزمن الأساسي (الصرفي) والفرعي (النحوي).
- مدى إدراك سيبويه لأهمية الجهة بالمصلح الحديث وأثرها في توجيه الزمن في سياق النفي والإثبات والاستفهام .
- أثر بعض الأدوات الداخلة على الفعل وكذلك النواسخ في توجيه الزمن في الجملة.
- أثر السياق في تحديد الزمن في الجملة عند سيبويه وتبادل الصيغ في الدلالة على ذلك.

أولاً: مصطلحات البحث.

يتداول الباحثون مجموعة من المصطلحات لقضية الزمن في اللغة ، ومما يُتداول حديثاً (الزمن) و (الزمان) ومن المصطلحات القديمة (الحين) و (الوقت) و (الدهر) كما سنجد عند سيبويه، وسنقوم بتوضيح دلالة هذه المصطلحات .

1- الزمن والزمان

وهما من أكثر المصطلحات دورانا في الدراسات اللغوية ، والجذر اللغوي لكلمة الزمن عند ابن فارس يدل على وقت من الوقت من ذلك الزمان وهو الحين قليله وكثيره.¹ وهو بذلك يرى أن الزمن هو الزمان.

¹براجشتراسر،(1994)،التطور النحوي للغة العربية ، جمع: رمضان عبدالنواب، مكتبة الخانجي -القاهرة، (90).

²²التطور النحوي مرجع سابق (89).

والزمن يعرف بأنه مقدار حركة الفلك الأطلس عند الحكماء، وهو عند المتكلمين عبارة عن متجدد يقدر به متجدد آخر موهوم.

والآن هو حد الزمانين الماضي والمستقبل نهاية الزمان، ونهاية الشيء خارج عنه، والزمان في الاستعمال يناوب الحين معرفاً ومنكراً، وقد أجمع أهل اللغة على أن الزمان الطويل من شهرين إلى ستة أشهر.²

إن مصطلحي الزمن والزمان يكادان يتوافقان في الدلالة اللغوية، إلا أن الاستعمال في حقل الدراسات اللغوية لمصطلح الزمن أكثر رواجاً، وإن كانا يستعملان جميعهما، وهذان اللفظان لم يردا في القرآن الكريم.³

الزمن اللغوي.

ويخصص لفظ الزمن في حقل الدراسات اللغوية بـ (الزمن اللغوي) للتمييز بينه وبين ما يسمى بـ (الزمن الطبيعي) أو الفلكي

وإن كانا مختلفين إلا أن بينهما أبعاداً مشتركة فهما ينتميان إلى طبيعة واحدة إذ ينطويان على أبعاد مكانية، فكما أن للزمن الفلكي أبعاداً وكما أنه زمن يقاس بآلات معينة فكذا الزمن اللغوي له أبعاد مكانية من قرب أو بعد واستمرار وانقطاع.⁴

و الزمن الفلكي يعتمد على الإدراك الحسي و العد والقياس لأجزائه ، وأما اللغوي فلا يعتمد على العد ولا على الإدراك الحسي.⁵

¹ ابن فارس، مقاييس اللغة، (1979)، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر - دمشق، (22/ 3).

² الجرجاني، التعريفات، (1985)، مكتبة لبنان - بيروت، (119)، الكفوي، أبوالبقاء، الكليات، اعتنى به: عدنان درويش ومحمد المصري، (1998)، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط2، (826،486،445).

³ المطلبي، مالك يوسف (1986)، الزمن واللغة، الهيئة المصرية للكتاب - القاهرة، (16).

⁴ الزمن واللغة، مرجع سابق، (12).

⁵ رشيد، كمال، (2008)، الزمن النحوي في اللغة العربية، عالم الثقافة للنشر. عمان، (13).

وفي الدراسات الحديثة يفرق الباحثون بين مصطلحي (الزمن والزمان)، حيث يجعلون (الزمان) هو الذي يقاس بالثواني والساعات والأيام فهو يقابل عندهم الزمان الطبيعي ، وهو يقابل ما يعرف في اللغة الإنجليزية بـ (Time).

وأما مصطلح الزمن فيقصره على الزمن اللغوي الذي يعبر عنه بالصيغ الصرفية والسياقات اللغوية، وهو يقابل ما يعرف في اللغة الإنجليزية بـ (Tense).¹

مصطلحات الزمن عند سيبويه:

مصطلح الزمن ليس جديدا فلقد استخدمه سيبويه في كتابه ، وقد جاء عنده بصيغة المفرد والجمع، وليس غرضنا إحصاء المواطن التي جاءت فيها هذه المصطلحات في كتاب سيبويه وإنما القصد ذكر النماذج عليها، لمعرفة مراد سيبويه منها.

الزمن:

ذكر سيبويه مصطلح الزمن في سياقات عامة² ولم يحدد المراد منه فقد ورد بصيغة المفرد ومنه قوله: "فلما صار بمنزلة الوقت في الزمن"³

وقد ورد بصيغة الجمع أيضا ومنه قوله: "وأما الوقت والساعات والأيام وما أشبه ذلك من الأزمنة والأحيان"⁴

ويلاحظ أن سيبويه في هذه النصوص يجعل الوقت والساعات والأيام جزءا من الزمن فالزمن أعم لديه من دلالة تلك المصطلحات، ويشير إلى الزمن بدلالته النحوية في بعض التراكيب فيقول: "فإنما يعني أنهما وقعا في الماضي من الأزمنة وأن الآخر كان مع فراغه من الأول".⁵

¹ حسان، تمام، مناهج البحث اللغوي ، دار الثقافة - الدار البيضاء، (211)، واللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان،(1994)، دار الثقافة - الدار البيضاء، (240) ، والزمن الدلالي، د. كريم زكي حسام الدين،(2002)، دار غريب- القاهرة ، (193).

² الزمن واللغة ، مرجع سابق (13).

³ سيبويه، الكتاب ، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون،(1988)، مكتبة الخانجي - القاهرة ، ط2 ، (26/1).

⁴ الكتاب، مرجع سابق، (419/1).

⁵ الكتاب، (23/3).

وبذلك يتضح أن مصطلح الزمن عند سيبويه أشمل من الوقت والحين كما أنه أشار إلى أن الماضي من الأزمنة ويقصد به هنا الزمن النحوي.

الزمن:

ويستعمل سيبويه أيضا مصطلح الزمان للدلالة على الزمن النحوي ومن ذلك قوله: "تقول: كنت سرت حتى أدخلها، إذا لم تجعل الدخول غاية وليس بين كنت سرت وبين سرت مرة في الزمان الأول حتى أدخلها شيء"¹

وكذلك قوله: فإذا قال: ذهب فهو دليل على أن الحدث فيما مضى من الزمان، وإذا قال سيذهب فإنه دليل على أنه يكون فيما يستقبل من الزمان..."²

وهذا الاستعمال من سيبويه لمصطلح (الزمان) لا يختلف في دلالاته عن مصطلح (الزمن) السابق.

الدهر:

قال ابن فارس: "الدال والهاء والراء أصل واحد، وهو الغلبة والقهر، وسمي الدهر دهرًا لأنه يأتي على كل شيء فيغلبه."³

ويرى الجرجاني أنه الآن الدائم⁴، أي: المستمر، وقيل: أنه في الأصل اسم لمدة العام من مبدأ وجوده إلى انقضائه، ويستعار للعادة الباقية ومدة الحياة،⁵ والدهر معرّفًا هو الأبد بلا خلاف.⁶

وقد جاء هذا المصطلح عند سيبويه للدلالة على الظروف التي تدل على الزمان، ومن ذلك قوله: "ظروف الدهر"⁷ وكذلك قوله عن (إذ) "وهي لما مضى من الدهر"⁸،

¹ الكتاب، (21/3).

² الكتاب، (35/1).

³ مقاييس اللغة، مرجع سابق، (305/2).

⁴ التعريفات، مرجع سابق، (111).

⁵ الكليات، مرجع سابق، (444).

⁶ الكليات، مرجع سابق، (445).

⁷ الكتاب، (419/1).

⁸ الكتاب، (229/4).

وعن (إذا) " لما يستقبل من الدهر"¹، وكذلك قوله : واعلم أن ظروف الدهر أشد تمكنا من الأسماء".²

الوقت:

الوقت من دلالة جذرها اللغوي أصل يدل على حد شيء وكنهه في زمان وغيره، ومنه الوقت: الزمان المعلوم، والموقوت الشيء المحدد، والميقات : المصير للوقت، ووقت له كذا ووقته، أي: حدده،³ قال تعالى : " إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا".⁴ لقد استعمل سيبويه هذا المصطلح للدلالة على الوقت المحدود ، ومن ذلك قوله : وأما الوقت والساعات والأيام⁵ فيجعل الوقت قسيما للساعات والأيام التي هي محددة.

الحين:

يقع على ستة أشهر معرفا أو منكرا إلا أن هذه المدة أعدل محملاً لكونه وسطاً⁶ كما قال تعالى : (تؤتي أكلها كل حين)⁷.

وقد استعمل سيبويه هذا المصطلح للدلالة على الظروف الزمنية ، ومن ذلك قوله: "وتقول: متى سير عليه؟ فيقول: أمس أو أول من أمس، فيكون ظرفاً على أنه كان السير في ساعة دون سائر ساعات اليوم أو حين دون سائر أحيان اليوم"⁸ فالحين هنا المراد به الوقت المحدد، ومن ذلك تسميته اسم الزمان بـ(الحين)⁹، وحديثه عن (كلما) فيقول: "وكلما تأتيني يقع أيضاً على الحين"¹⁰

¹ الكتاب، (232/4)، وانظر (216،217/1).

² الكتاب، (419/1).

³ مقاييس اللغة، مرجع سابق، (131-132).

⁴ النساء (103).

⁵ الكتاب، (419/1).

⁶ الكليات، مرجع سابق، (445).

⁷ إبراهيم (25).

⁸ الكتاب، (216/1).

⁹ الكتاب، (88/4).

¹⁰ الكتاب، (453/1).

ثالثا: الزمن الأساسي (الصرفي) عند سيبويه.

لقد حاول بعض النحاة المعاصرين التفريق بين الزمن الصرفي والزمن النحوي، فقد ذهب تمام حسان إلى أن الزمن الصرفي "هو وظيفة الفعل مفردة خارج السياق، فلا يستفاد من الصفة التي تقيد موصوفا بالحدث ولا يستفاد من المصدر الذي يفيد الحدث دون الزمن"¹

وبذلك قد قصر الزمن الصرفي على معنى الصيغة يبدأ بها وينتهي بها ولا يكون لها عندما تدخل في علاقات السياق.²

إن هذا الأمر لا يمكن تصوره إذ لا يمكن تصور صيغة مغلقة على نفسها في اللغة تحتفظ بدلالة مستقلة خارج مجال الاستعمال... والمعادلة التي ينتجها هذا المفهوم هي : شكل الصيغ = الزمن.³

إن سمة التصريف الفعلي إنما تحققت في اللغة لأن الزمن ليس قسما واحدا ، وهذا ما عبر عنه ابن يعيش بقوله: إن أصل الأفعال أن تكون متصرفة من حيث كانت منقسمة بأقسام الزمن⁴

وبذلك تكون صيغ الفعل تدل على معناها الزمني كالاتي:

صيغة (فَعَلَ) وقبيلها تفيد وقوع الحدث في الزمن الماضي، وصيغة (يَفْعَل) وقبيلها تفيد وقوع الحدث في الحال أو الاستقبال، ومثلها صيغة (افعل) وقبيلها.⁵

إن ملامح الزمن الصرفي في اللغة العربية والكشف عن سماته كشفا تاما يحتاج إلى البحث في قضيتين:⁶

¹ اللغة العربية معناها ومبناها، مرجع سابق، (240).

² السابق، (242).

³ الزمن واللغة، مرجع سابق، (25).

⁴ ابن يعيش، شرح المفصل، عالم الكتب - بيروت، د.ت، (116/7).

⁵ اللغة العربية معناها ومبناها، مرجع سابق، (241).

⁶ الزمن واللغة، مرجع سابق، (44-45).

1- فحص بنى الصيغ الزمنية الفعلية والحدثية كاسم الفاعل والمصدر وغيرها لمعرفة إمكانات تلك الصيغ في التعبير عن الزمن إذ يعد الزمن واحدا منها فليس صحيحا أن نبحت في عنصر واحد داخل بنية ما، غاضين الطرف عما يجاوره من عناصر.

2- فحص الزمن في المستوى النحوي بمراقبة الصيغ في الاستعمال بثبوتها الدلالي أو تغييره ومن ثم قياس عمة امتداد الزمن الصرفي في الرتبة النحوية لتجنب الفصل بين الأشكال والدلالات.

ويعقد مقارنة بين الزمن الصرفي والزمن النحوي يكون الحكم على طبيعة زمن اللغة العربية بأنه زمن صرفي يتسم بالشمول والدقة.

لقد أصل سيبويه رحمه الله لقضية الزمن الأساسي أو الصرفي بصورة واضحة وذلك من خلال الآتي:

1- ربطه للزمن بالفعل.

لقد جعل سيبويه الزمن مقترنا بالفعل حيث عرف الفعل فقال: " وأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء وبنيت لما مضى ولما يكون ولم يقع وما هو كائن لم ينقطع."¹

ففي هذا التعريف إشارة واضحة إلى ارتباط الزمن بصيغة الفعل، في قوله (لما مضى) و(لما يكون) و(ما هو كائن) فهذه المصطلحات تدل على الحدوث في الأزمنة المختلفة. إن أهم ميزة يختص بها الفعل ليست مادته فهذه مسألة وجدت في المصدر بل إن ميزته تكمن في أن يعبر عن الزمن فجوهر الفعل الزمن.² فهو الوحيد من بين أقسام الكلام الذي يستطيع منفردا أن يدل على الزمن.³

1- تحديده أبنية أو صيغا لأنواع الزمن.

لقد حفل كتاب سيبويه بكثير من الصيغ الفعلية الحدثية ، حيث حدد لكل زمن صيغه الصرفية الأساسية والتي تفيده في مجال بنائها الإفرادي، وقد صنف سيبويه الأبنية

¹ الكتاب، (12 / 1).

² الزمن واللغة، مرجع سابق، (26-27).

³ الزمن النحوي، مرجع سابق، (25).

الفعلية باعتبار الزمن خارج السياق أو بحسب الزمن العام أو الأساسي إلى أبنية (الماضي) و (ما لم يقع) و (ما هو كائن لم ينقطع)، وقد قسم هذه الأبنية على النحو الآتي:

- أبنية الماضي: وأما بناء الماضي فذهب وسمع ومكث وحمد.

- أبنية المستقبل (ما لم يقع):

" وأما بناء ما لم يقع فإنه قولك آمرا: اذهب واقتل واضرب، ومخبرا: يقتل ويذهب ويضرب ويقتل ويضرب."

- أبنية (الحال أو الحاضر) : "وكذلك بناء ما لم ينقطع وهو كائن إذا أخبرت".¹

والفعل يحتفظ بدلالته على الزمن في حالة الأفراد، فالماضي يدل دلالة قطعية، أما المضارع والأمر فيصلح كل منهما للزمن الحاضر والمستقبل.²

وقد جعل سيبويه تلك الصيغ الزمنية أساسا في تحديد قياس الزمن اللغوي داخل السياق، فكان الصيغة هي التي تحدد زمن السياق لا القرائن والملابسات.³

وقد أشار رحمه الله إلى بقية تلك الأبنية والصيغ بقوله: "فهذه الأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء ولها أبنية كثيرة ستبين إن شاء الله".⁴

لقد تبين لنا أن أنواع الفعل بحسب الزمن الأساسي عند سيبويه ثلاثة هي: الماضي والمستقبل (ما بني لما يكون) والحاضر (ما هو كائن لم ينقطع) أي: كائن في وقت النطق به، وهو الزمان الذي يقال عليه الآن.⁵

وقد اعتمد النحاة من بعد سيبويه هذا التقسيم الثلاثي وفصل فيها النحاة من بعده

¹ الكتاب، (12/1).

² الزمن النحوي، مرجع سابق، (36).

³ الزمن واللغة، مرجع سابق (30).

⁴ الكتاب، (12 /1).

⁵ السيرافي ، أبو سعيد ،شرح كتاب سيبويه ، تحقيق: رمضان عبدالتواب وآخرا، (1986)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،(57/1) والأعلم الشنتمري، النكت في تفسير كتاب سيبويه، تحقيق: زهير عبدالمحسن سلطان، (1987)، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - الكويت، ط1، (103).

قال ابن يعيش:

لما كانت الأفعال مساوقة للزمان، والزمان من مقومات الأفعال توجد عند وجوده وتنعدم عند عدمه انقسمت بأقسام الزمان، ولما كان الزمان ثلاثة: ماض وحاضر ومستقبل، وذلك أن الزمان حركة الفلك فمنها حركة مضت، ومنها حركة لما تأتي بعد، ومنها حركة تفصل بين الماضي والآتي، كانت الأفعال كذلك، فالماضي ما عدم بعد وجوده فيقع الإخبار عنه في زمان بعد زمان وجوده، والمستقبل ما لم يكن له وجود بعد بل يكون زمن الإخبار عنه قبل وجوده، وأما الحاضر فهو الذي يصل إليه المستقبل ويسري منه الماضي فيكون الإخبار عنه هو زمان وجوده.¹

وقد اعترض على هذا التقسيم بأن الفعل إما يكون قد وقع فهو ماض وإما يكون لم يقع فهو مستقبل ولا ثالث لهما.²

ولذلك قسم الكوفيون الفعل إلى ماض ومستقبل ودائم وهو قائم وذاهب وهو الحال³ وقد رد البصريون على ذلك بأن كل فعل صح الإخبار عن حدوثه في زمان بعد زمان حدوثه فهو ماض ، والمستقبل هو الذي يحدث عن وجوده في زمان لم يكن فيه ولا قبله، فقد تحصل لنا بذلك الماضي والمستقبل، وبقي قسم ثالث وهو الذي يكون زمان الإخبار عن وجوده هو زمان وجوده، وهو الذي قال فيه سيبويه: (وما هو كائن لم ينقطع).⁴

رابعا: الزمن النحوي عند سيبويه.

الزمن النحوي وظيفة في السياق يؤديها الفعل أو الصيغة أو ما نقل من الأقسام الأخرى للكلم كالمصادر والخوالب، والزمن بهذا المعنى يختلف عما يفهم منه في الصرف إذ هو وظيفة صيغة الفعل مفردة خارج السياق.⁵

¹ شرح المفصل، مرجع سابق، (7/4).

² النكت في تفسير كتاب سيبويه، مرجع سابق، (103).

³ الزجاجة، أبو القاسم، الإيضاح في علل النحو، تحقيق: مازن المبارك، (1982)، دار النفائس - بيروت، (86-87).

⁴ النكت في تفسير كتاب سيبويه، مرجع سابق، (104)، وشرح المفصل لابن يعيش، مرجع سابق، (7/4).

⁵ اللغة العربية معناها ومبناها، مرجع سابق، (240).

إن الزمن النحوي هو زمن الجملة بمجموع ما فيها من قرائن لفظية ومعنوية وحالية ، ودور هذه القرائن توجيه الزمن.¹

إن المأخذ الذي جعل المعاصرين يتحاملون على السابقين هو أنهم لم يفرقوا بين الزمن النحوي والصرفي، فلم يرد لديهم إشارة إلى ذين النوعين.

بينما نجد أن انحراف الصيغ في التعبير عن دلالتها الزمنية الصرفية عندما تتحول إلى السياق قد أجاب عليه علماؤنا الأوائل كل في موضعه ولم يجدوا في ذلك نقضا لصيغة الزمن في العربية، ولم يحددوا أنه عندما تطرأ عليه هذه التغيرات فهو ذو طبيعة تعددية.² إن المتأمل في كتب التراث ومنها كتاب سيبويه على الخصوص يجد أن جل الأمثلة والتراكيب التي ساقها في الاستشهاد على الأزمنة هي من نوع الزمن النحوي، وهذا ما سنبينه لاحقاً.

إن الزمن النحوي هو زمن سياقي فالفعل يتهيأ له في السياق ما لا يتهيأ له في حالة الأفراد، فمطالب السياق من حيث المعنى ومن حيث الإعراب وترتيب العلاقات النحوية توجب ذلك.³

لقد أدرك سيبويه أثر السياق في تحديد الزمن لذلك فقد دفع بالصيغ الفعلية إلى السياق محققاً اختباراً ضمناً لصحة دلالتها على أزمانها التي قررها⁴، قال: فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمس ، و سأتيك غدا ، وأما المحال فأن تنقض كلامك بآخره فتقول: أتيتك غداً وسأتيك أمس".⁵

وقد أدرك أهمية الأدوات في توجيه الزمن وسنبين ذلك لاحقاً ومن ذلك قوله: وإذا قال سيذهب فإنه دليل على أن يكون فيما يستقبل من الزمان...⁶

¹ الزمن النحوي، مرجع سابق، (100).

² الزمن واللغة ، مرجع سابق، (31).

³ الزمن النحوي، مرجع سابق، (56).

⁴ الزمن واللغة، مرجع سابق، (24).

⁵ الكتاب، (25/1).

⁶ الكتاب، (35/1).

الأزمة الفرعية عن سيبويه:

لقد أطلق سيبويه عدة مصطلحات مشيرة فيها إلى أزمنة مختلفة تتفرع من الزمن الرئيس منها:

-المتصل:

لقد استعمل سيبويه هذا المصطلح للدلالة على اتصال زمن الفعل بزمن فعل آخر وعدم انقطاعه ، وقد تكرر ذلك منه في أكثر من موضع ،قال في قول الشاعر :

فإن المندى رحلة فركوب¹

لم يجعل ركوبه الآن ورحلته فيما مضى ، ولم يجعل الدخول الآن وسيره فيما مضى في قولك: سرت حتى أدخلها، ولكن الآخر متصل بالأول، ولم يقع واحد دون الآخر.² وقال في موضع آخر : فإنما عنينا بقولنا الآخر متصل بالأول أنهما وقعا فيما مضى ... وأن الآخر كان مع فراغه من الأول،³ أي: أنه قد مضى السير والدخول.⁴

-المنفصل:

جاء هذا المصطلح عند سيبويه تقييضا للاتصال الذي ذكر سابقا، ولا شك أن أراد به الزمن غير المتصل، وقد استنبطه سيبويه في سياق تركيبى لفعلين في جملة واحدة قال: وإذا قلت : لقد ضرب أمس حتى لا يستطيع أن يتحرك اليوم، فليس كقولك: سرت فأدخلها، إذا لم ترد أن تجعل الدخول الساعة، لأن السير والدخول جميعا وقعا فيما مضى، وكذلك: مرض حتى لا يرجونه، أي: حتى إنه لا يرجونه، فهذا ليس متصلا بالأول واقعا معه فيما مضى⁵

وقد عبر سيبويه عن الانفصال بقوله : فهذا ليس متصلا بالأول واقعا معه فيما مضى، وهذا تصريح بانقطاع الفعل الثاني عن الأول ، أي: أن السير قد مضى وهو الآن في حالة دخول.

¹ البيت من شواهد سيبويه انظر الكتاب ، (20/3).

² الكتاب، (18/3-19).

³ الكتاب، (23/3).

⁴ الكتاب، (20/3).

⁵ الكتاب، (20/3).

-الفعل القريب (المنتظر):

(لما) تنفي فعل الحال وتقلبه ماضيا، ومنفيها مستمر النفي إلى الحال... ولا يجوز مع لما أن يقال: لما يكن ثم كان، بل يقال: لما يكن وقد كان، ولامتداد النفي بعد لما لم يجز اقترانها بحرف التعقيب بخلاف لم... ومنفي لما لا يكون إلا قريبا من الحال، وهو متوقع ثبوته¹؛ ولذل عبر عنه سيبويه بقوله: "ولما يفعل وقد فعل إنما هما لقوم ينتظرون شيئا".

خامسا: الجهة (Aspect).²

هي مفهوم لساني ذو إشكالات متعددة ووجهات النظر فيه مختلفة، فبعضهم يرى أمن الجهة تصف الحدث المحكي عنه دونما علاقة بالأطراف المشاركة فيه، ودون إشارة إلى الحدث الكلامي.

وقيل إنه عن طريق الجهة نفهم الفروق بين بداية الحالة وامتدادها وبين إنجاز الفعل واستمرار مدته... وهي ثنائي التمام واللا تمام في الحدث، ومن أنواعها: التمام واللاتمام والعادة والاستمرار والتدرج وعدمه.³

ويرى تمام حسان أنها تخصيص لدلالة الفعل، إما من حيث الزمن وإما من حيث الحدث، فهناك جهات في اللغة العربية لتقييد معنى الزمن... والمباني الدالة على الجهات الزمنية هي في جملتها أدوات ونواسخ، مهنا: قد ولم ولما ولن ولا وما والسين وسوف وكان ومازال وظل وكاد وطفق.

وفوق كل ذلك تلعب الظروف الزمانية دورها الهام في هذا المجال بتخصيص الزمن النحوي بواسطة الدلالة على توقيت الحدث الواحد الذي يدل عليه الفعل ونحوه في

¹ ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب، تحقيق: د. مازن المبارك وآخران، (1964)، دارالفكر - دمشق، (309).

² استعمل الباحث مصطلح الجهة هنا كما استعملها د. تمام حسان والتي تترجم بـ (Aspect).

³ ثالث، الحاج موسى، مفهوم الجهة، (رسالة ماجستير) جامعة الملك سعود، 1427هـ، (15) - (19).

الجملة، أو بواسطة الدلالة على الاقتران الزماني بين حدثين مدلول عليهما بعنصرين مختلفين في الجملة.¹

لقد نسب النحاة هذا الذي نسميه معنى الجهة لبعض الحروف فقالوا في (قد) إنها تقرب الماضي من الحال، ونسبوا إلى السين وسوف قصر صيغة المضارع على الاستقبال، بعد أن كانت صالحة للحال والاستقبال، ونظروا في جميع الحروف التي تدخل على صيغة المضارع (يفعل) وفي تأثيرها وتوجيهها الزمني.

فقالوا في حروف النفي: ما يفعل تدل على الزمن الحالي، ولن يفعل تدل على الزمن المستقبل، ولا يفعل تدل على عموم الزمن، أي: استمرار الزمن عند بعضهم وعلى المستقبل عند آخرين، ولم يفعل تدل على الزمن الماضي المنقطع.²

إن الجهة هي التي تخصص الفعل وقد ترك لنا سببويه كثيرا من الإشارات الواضحة إلى ذلك.³

إشارات الجهة عند سببويه:

1- النفي والإثبات.

لقد حشد لنا سببويه كثيرا من موجهات الزمن في سياقات مختلفة من النفي والإثبات في كتابه، فقال:

"إذا قال: فعل فإن نفيه لم يفعل، وإذا قال: قد فعل فإن نفيه لم يفعل، وإذا قال: لقد فعل فإن نفيه ما فعل، لأنه كأنه قال: والله لقد فعل، فقال: والله ما فعل.

وإذا قال: هو يفعل، أي: وهو في حال فعل، فإن نفيه ما فعل، وإذا قال: هو يفعل، ولم يكن الفعل واقعا، فنفيه لا يفعل: وإذا قال: ليفعلن فنفيه لا يفعل، كأنه قال: والله ليفعلن، فقل: والله لا يفعل، وإذا قال: سوف يفعل، فإن نفيه لن يفعل"⁴ وقال: وإنما تدخل هذه السين على الأفعال، وإنما هي إثبات لقوله لن يفعل"⁵، وقال: كما كان لن يفعل نفيا

¹ اللغة العربية معناها ومبناها، مرجع سابق، (257).

² الزمن النحوي، مرجع سابق، (101).

³ الزمن واللغة، مرجع سابق، (98).

⁴ الكتاب، (117/3).

⁵ الكتاب، (115/3).

ل(سيفعل)¹، وقال : لن أضرب نفي لقوله: سأضرب، كما أن لا تضرب نفي لقولي: اضرب، ولم أضرب نفي لضربت²

إن هذه النصوص زاخرة بمعان كثيرة للجهات الزمنية للفعل ،والمتأخرون الذين اعترضوا على تقسيمات الزمن لم يكلفوا أنفسهم الرجوع إلى كتاب سيبويه ولم يشيروا حتى إلى هذه النصوص ليكون اعتراضهم منطقياً، خلا د. المطليبي الذي أشار إلى معاني الجهة عند سيبويه وكان أكثر إنصافاً من غيره.³

إن النصوص المذكورة تكشف لنا عدة تعابير عن جهات الزمن الفعلية في سياقات عدة ويمكن أن يلخص جهة الإثبات والنفي مع صيغة الماضي (فعل) على النحو الآتي:⁴

الإثبات	النفي
فعل	لم يفعل
فعلت	لم أفعل
قد فعل	لما يفعل
لقد فعل	ما فعل
والله لقد فعل	والله ما فعل

فيلاحظ أن الجملة المثبتة تنفي فيها صيغة الماضي (فعل) و(قد فعل) بصيغة المضارع مع الأدوات التي تضامها وهي (لم) في الأولى و(لما) في الثانية، وأما ما عدا ذلك فيكون النفي بإضافة (ما) كما في نفي (لقد فعل).

وأما صيغة المضارع أو الحال (يفعل) فالنفي فيها على النحو الآتي:⁵

الإثبات	النفي
هو يفعل (في حالة فعل)	ما يفعل
هو يفعل (ولم يكن الفعل واقعا)	لا يفعل
ليفعلن	لا يفعل

¹ الكتاب، (7/3).

² الكتاب، (1/ 135-136).

³ الزمن واللغة، مرجع سابق، (99-100).

⁴ الكتاب، (3/117)، وينظر الزمن واللغة، مرجع سابق، (99).

⁵ الكتاب، (3/117).

والله لا يفعل	والله ليفعلن
لن يفعل	سيفعل
لن يفعل	سوف يفعل

إن النفي لصيغة الحال (يفعل) يكون بإدخال أدوات عليها تفيد من دون تغيير في بنية الصيغة، وتظل الصيغة تفيد الحال إلا إذا كانت الأداة تدل على الاستقبال كما في سيفعل وسوف يفعل فإن نفيها لن يفعل، فهي تدل على الاستقبال، وأما صيغة الأمر (افعل) فنفيها بـ(لا تفعل).

1- الاستفهام.

ويشير سيبويه إلى الجهة الزمنية لمعاني الفعل في سياق الاستفهام بقوله:
فمن تلك الحروف قد ولا يفصل بينها وبين الفعل بغيره، وهو جواب لقوله: أفعل؟
كما كانت ما فعل جوابا لهل فعل؟ إذا أخبرته أنه لم يقع ، ولما يفعل، وقد فعل إنما هما لقوم ينتظرون شيئا..."

الجملة	الجواب
أفعل؟	قد فعل
هل فعل؟	ما فعل (إذا أخبر أنه لم يقع)
هل فعل؟	لما يفعل (لقوم ينتظرون شيئا)

إن تعبير سيبويه بقوله (ما فعل) جوابا (هل فعل؟) يشترط فيه أن الفعل لم يكن قد وقع، وبذلك يكون النفي قطعيا، ما فعل ذلك.

أما (هل فعل؟) في حالة انتظار المستفهم قرب وقوع الحدث فجوابه (لما يفعل).
سادسا: الأدوات ودورها في توجيه الزمن.

للأدوات الداخلة على الأفعال دور كبير في توجيه الزمن فيها، وقد جعل براجشتراسر مما يميز اللغة العربية في تخصيص معاني أبنية الفعل وتنويعها وجود أدوات تقترن بالفعل مثل: قد والسين ولا وما ولن ، وكذلك تفيد فعل كان على اختلاف صيغه.¹
وقد رأينا ما جاء عن سيبويه في استعماله للأفعال في سياقات متنوعة مع تلك الأدوات وقد أكد أيضا على دور تلك الأدوات في توجيه الزمن في الأفعال كما في نفي (فعل) و(يفعل) و(افعل)، وكذلك أدوات الاستفهام، وكذلك السين وسوف.¹

¹ التطور النحوي، مرجع سابق، (90).

ومن ذلك قوله : " أما سوف فتفتيس فيما لم يكن بعد ألا تراه يقول: سوفته".²
وكذلك قوله عن (أن) " ونقول : ما عدوت أن آتيك، أي: ما عدوت أن يكون ذلك في المستقبل".³

ومن إشارته إل (لم) بأنها لنفي الماضي، و(لن) لنفي المستقبل،⁴ وقوله عن (إذ) إنها لما مضى من الدهر،⁵ و(إذا) للمستقبل من الدهر.⁶
-كان وأخواتها.

تدخل "كان" وأخواتها على جملة اسمية خالية من الزمن، لتكسبها معنى زمن معين، ودلالاتها على الزمن دلالة قوية دعت إلى القول بخلوصها للزمن دون الحدث عند بعض النحاة، بل إن الزمن معها يلغي زمن الخبر في حالة كونه فعلاً. عند عدم المانع. فإن جاء الناسخ بصيغة الماضي، والخبر مضارعاً، فإن المضارع يتابع زمن الناسخ و يوافقه ، ففي "كان زيدٌ يقول الحق" جملة الخبر فعلها مضارع صيغة، ماض لفظاً، وذلك تبعاً لزمن "كان".⁷

وكأن العربية قد اتخذت من بناء (كان) فعلاً دالاً على الحدث غير مترشح للدلالة الزمانية إلا إذا كان لصيق فعل آخر.⁸

فهذه الأفعال جيء بها لتضيف معنى الزمن للجملة الاسمية التي قد تقتصر إليه وتوجه هذه النواسخ الزمن الواحد توجيهها معينا يحمل معاني القرب والبعد والاتصال والانقطاع والاستمرار والتحول والشروع والمقاربة وغيرها⁹

¹ انظر الكتاب، (1/14، 448، 2/305، 3/115، 60).

² الكتاب، (4/223).

³ الكتاب، (1/431).

⁴ الكتاب، (1/135).

⁵ الكتاب، (3/60).

⁶ الكتاب، (4/232).

⁷ حسن، عباس محمود، النحو الوافي، ، الطبعة الخامسة، (1 / 546 ، 547).

⁸ السامرائي، إبراهيم ،الفعل زمانه وأبنيته،(1983)،مؤسسة الرسالة - بيروت، ط2، (25).

⁹ الزمن النحوي، مرجع سابق، (101).

وقد أدرك سيبويه دور هذه الأدوات في التعبير عن الزمن وتوجيهه فقال عن توجيهه كان للزمن إلى الماضي: "وتقول: كان عبدالله أخاك، وإنما أردت أن تخبر عن الأخوة وأدخلت كان لتجعل ذلك فيما مضى"¹

ومن إشارات إلى توجيهه كان للزمن في المستقبل قوله: "... ودخل فيه معنى كان سيفعل، فإذا قلت هذا قلت: ما كان ليفعل، كما كان لن يفعل نفياً لـ(سيفعل)".²

-أفعال المقاربة:

تؤدي أفعال المقاربة معنى الزمن في الخبر، قال الحيدرة اليميني: "لأن معناها جميعاً مقاربة الفعل، واستدناء وقوعه"³ ، وقال ابن يعيش: "كما أنّ هذه الأفعال لإفادة معنى القرب في الخبر"⁴

فهي لا تختلف عن "كان" في دلالتها على الزمن، إلا أن "كان" اختصت بالماضي، و"كاد" وأخواتها اختصت بالحال والاستقبال.

وقد أشار سيبويه إلى دور أفعال المقاربة في تقريبها للزمن فقال عن عسى: "وتقول عسيت أن تفعل فإن هاهنا بمنزلتها في قولك: قاربت أن تفعل، أي: قاربت ذلك بمنزلة دنوت أن تفعل، اخلولقت السماء أن تمطر، أي: لأن تمطر...، و(عسى أنت تفعلوا) كما تقول: دنا أن يفعلوا"⁵.

سابعا: تبادل الصيغ في دلالتها على الزمن.

أشار سيبويه إلى تبادل الصيغ أي: وقوع مجيء صيغة (نفع) أو (تفع) أو (أفعل) بمعنى (فعلت) ، وذلك من ملاحظته للمعنى السياقي الذي يوجه الصيغة نحو زمن معين، فمن ذلك قوله: "وتقع نفع في موضع فعلنا في بعض المواضع ومثل ذلك قول رجل من بني سلول مولد:

¹ الكتاب، (45/1).

² الكتاب، (7/3).

³، اليميني، ابن الحيدرة ، كشف المشكل ، تحقيق: هادي عطية مطر، (1984)، مطبعة الإرشاد - بغداد، (335 /1).

⁴ شرح المفصل، مرجع سابق، (7 / 119).

⁵ الكتاب، (478، 477/1).

ولقد أمر على اللثيم يسبني فمضيت ثمت قلت لا يعنيني

واعلم أن أسير بمنزلة سرت إذا أرت بأسير معنى سرت"¹
قال السيرافي: إنما يستعمل ذلك إذا كان الفاعل قد عرف منه ذلك الفعل خلقا وطبعاً،
ولا ينكر منه في الماضي والاستقبال، ولا يكون لفعل فعله مرة من الدهر.²
وذلك إشارة واضحة إلى ما يسمى فعل العادة المستمرة وهو من إحدى جهات الزمن.
ومن ذلك ما نقله عن الخليل رحمه الله عن إذا فقال: الفعل في إذا بمنزلته في إذ، إذا
قلت: أتذكر إذ تقول، فإذا فيما يستقبل بمنزلة إذ فيما مضى..."³
وفهم من قوله ذلك أن (إذ تقول) معناها: إذ قلت،
وقد نظر سيبويه إلى تغاير الصيغ داخل التركيب الشرطي على أساس التجانس
بوصف التركيب الشرطي واقعا على حدثين ينبغي أن يُشاكل أحدهما الآخر، فقال:
أحسن الكلام أن يكون (أفعل) لأنه نظيره في الفعل، وإذا قال (فعلت) فأحسن الكلام أن
تقول (فعلت) لأنه مثله.⁴

الخاتمة:

للغة العربية قدرة كبيرة على استيعاب قضية الزمن والتعبير عنها في السياقات اللغوية
المختلفة.
الزمن والزمان من المصطلحات الأكثر دورانا لدى الباحثين في دراسة قضية الزمن ،
ومصطلح الزمن (Tens) هو الأكثر استعمالا من غيره.
يستعمل سيبويه مصطلح الزمن والزمان بمعنى واحد ، وأما الدهر والوقت فيريد بهما
الظروف وأسماء الزمان، والحين للزمن المحدد.

¹ الكتاب، (24/3).

² ينظر شرح السيرافي، مرجع سابق، (57/2).

³ الكتاب، (60/3).

⁴ الكتاب، (63 / 3)، الزمن واللغة، مرجع سابق، (78).

يربط سيبويه الزمن بالحدث (الفعل) ويقسم الزمن الصرفي إلى الماضي والحال والمستقبل، ويحدد لكل زمن أبنيته الخاصة به.

أدرك سيبويه أثر السياق في تحديد الزمن النحوي كما في إشارته إلى الكلام المستقيم والمحال، ولذلك دفع بالصيغ الفعلية إلى سياقاتها محققا اختبارا ضمنيًا لدلالاتها على الزمن.

وقد أشار إلى بعض الأزمنة النحوية مثل: الزمن المتصل والمنفصل والفعل القريب. أوضح سيبويه أهمية الأدوات الداخلة على الجمل والأفعال في تحديد الزمن، كما في لم، ولن، والسين وسوف، وأن، وكذلك دور النواسخ في تحديد الزمن النحوي في السياق. الجهة (Aspect) عند المحدثين لها دور في تحديد الزمن السياقي، وقد أشار سيبويه إلى ذلك ولاسيما في سياق النفي والإثبات والاستفهام.

لقد بين سيبويه إمكان تبادل الصيغ في دلالتها على الزمن في السياق، كما في صيغة (أفعل) بمعنى (فعلت).

المصادر والمراجع

1. أبنية الصرف في كتاب سيبويه، خديجة الحديثي، مكتبة النهضة - بغداد، 1965م.
2. الخلاف في الزمن، كريم حسين ناصح، وشيماء رشيد محمد، مجلة كلية التربية الأساسية - جامعة بابل، العدد (75)، 2012م.
3. اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، عالم الكتب - القاهرة، ط4، 2004م..
4. التطور النحوي للغة العربية، براجشتراسر، جمع: رمضان عبدالنواب، مكتبة الخانجي - القاهرة، 1994م.
5. مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر - دمشق، 1979م.
6. التعريفات للجرجاني، مكتبة لبنان - بيروت، 1985م..
7. الكليات، لأبي البقاء الكفوي، اعتنى به: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط2، 1998م.
8. الزمن واللغة، د. مالك يوسف المطليبي، الهيئة المصرية للكتاب - القاهرة، 1986م.
9. الزمن النحوي في اللغة العربية، د. كمال رشيد، عالم الثقافة للنشر. عمان، 2008م
10. الفعل زمانه وأبنيته، د. إبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط2، 1983م.

11. الفعل والزمن ، عصام نور الدين، المؤسسة الجامعية - بيروت، ط1، 1984م.
12. في النحو العربي: نقد وتوجيه، د. مهدي المخزومي، دار الرائد العربي - بيروت، ط2، 1986م.
13. مناهج البحث اللغوي، د. تمام حسان، دار الثقافة - الدار البيضاء،
14. واللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، دار الثقافة - الدار البيضاء، 1994م.
15. والزمن الدلالي، د. كريم زكي حسام الدين، دار غريب - القاهرة، 2002م .
16. الكتاب لسبويه، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط2، 1988م
17. شرح المفصل، لابن يعيش، عالم الكتب - بيروت، د.ت،
18. شرح كتب سبويه لأبي سعيد السيرافي، تحقيق: رمضان عبدالنواب وآخرا، الهيئة المصرية العامة للكتاب - 1986م.
19. النكت في تفسير كتاب سبويه، للأعلم الشنتمري، تحقيق: زهير عبدالمحسن سلطان، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - الكويت، ط1، 1987م.
20. الإيضاح في علل النحو، لأبي القاسم الزجاجي، تحقيق: مازن المبارك، دار النفائس - بيروت، 1982م.
21. مغني اللبيب لابن هشام، تحقيق: د. مازن المبارك وآخرا، دار الفكر - دمشق، 1964م.
22. مفهوم الجهة، الحاج موسى ثالث، (رسالة ماجستير) جامعة الملك سعود، 1427هـ .
23. النحو الوافي، عباس محمود حسن، الطبعة الخامسة، 1 / 546 ، 547¹.
24. كشف المشكل، لابن الحيدرة اليمني، تحقيق: هادي عطية مطر، مطبعة الإرشاد - بغداد، 1984م.